صورة النفاق بلفظه الصريح في الحديث النبوي الشريف
(دراسة موضوعية بلاغية)

أ0م0دفالح حمد احمد م0م عمار مكي محسن
جامعة البصرة /كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

خلاصة

يتناول البحث مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكر فيها موضوع النفاق والمنافقون بصورة صريحة دراسة موضوعية بلاغية .

تتضمن الدراسة ثلاثة مباحث ، بعد تمهيد تناولنا فيه معنى النفاق في للغة والاصلاح ، ومدى خطورته على المجتمع الاسلامي . وقد تناول المبحث الأول منها تصوير النفاق في بذوريه الاولى ، إما المبحث الثاني فتناول النفاق ، بوصفه مرضا اجتماعي بما يرتبط بالأخلاق والآداب ، واما المبحث الأخير فقد تناول العلاقة فيما بين النفاق والكذب وما يتصل به .

مقدمة

الحمد لله على جميع ما مَنّ به وأنعم، وصلىّ الله على خير خلقه أجمعين وعلى آله الطاهرين وسلّم، وبعد...

فإنه لا يخفى على كل مؤمن مسلم ما لتراث سيد الكائنات ، وسيد الفصاحة والبلاغة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من تأثير في الحياة وعظمة ونفعٍ وايجابية بما يعجز في إحصائه اللسان والقلم، وليس هذا بكثير على من آتاه المولى عز وجل جوامع الكلم ودانت له أزمّة ورقاب العُرب والعجم.

وهذا بحث صغير في أسطره عظيم في موضوعه الذي قصدَه، إتخذ جزءاً من بلاغة الحبيب المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم)،وبيانه بما يدور فلكه حول المنافقين وبعض من سماتهم الصريحة اللفظ، وقد وسِم بـ(صورة النفاق بلفظه الصريح في الحديث النبوي الشريف).

وبعد تمهيد تناولنا فيه معنى النفاق في اللغة والاصطلاح ومدى خطورته على المجتمع الاسلامي ، تقسمت مباحثه الأساسية على ما يلي :

المبحث الأول: تصوير النفاق في بذوره الأولى.

المبحث الثاني: تصوير مرض النفاق في الأخلاق والآداب.

المبحث الثالث: علاقة النفاق بالكذب وما يتصل به.

وقد اعتمدنا في هذا العمل على الجوانب البلاغية بفنونها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، متخذين المنهج التحليلي في بناء هذا البحث. والحمد لله رب العالمين

التمهيد

أولاً. النفاق في اللغة والاصطلاح

قال الله تعالى : ((وإن كان كبُرَ عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية))[١].

اذ نلاحظ قوله تعالى :((نفقاً)) التي كان معناها اللغوي : السرب داخل الارض ، فقد جاء في(لسان العرب) : "والنفقُ: سرب في الأرض مشتق إلى موضع آخر، وفي التهذيب: له مخلص إلى مكان آخر، وفي المَثل: ضل دُرَيص نفقه: أي جحره..."[٢].

ويسهب ابن منظور في عرض هذا المعنى إذ يقول: "والنفقة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج..."[٣].

ويتناول ابن فارس هذا المعنى في مُجمله حيث قال: "قالوا: ومنه اشتقاق النفاق لأن الايمان يخرج من قلب المنافق، أو يخرج هو من الايمان"[٤].

والنفاق في الاصطلاح: هو الاقرار باللسان مع الانكار بالقلب أو مع تردده[٥].

ثانياً. النفاق وخطورته على المجتمع الإسلامي

ما من شك في حقيقة النفاق أنه مرض حاوٍ على مساوئ جمّة وتتفاقم هذه المشكلة أي وجود المنافقين اذا ما لاحظنا كون هذا المرض خفيا ومبطنا في نسيج المجتمع الاسلامي فالمنافق يضمر خلاف ما يظهر يسر الشر والمكيدة والحيلة للإسلام واهله ويعلن المودة والإخاء ويقيناً هم عند الله أكثر أهل النار عذاباً لما تضمنته قلوبهم من كذب وتحايل .

وقد كشف القرآن الكريم عن وجه النفاق القبيح المشين وفضح اهله واخزاهم في بلاغة قرآنية لا يرقى الى سماء مجدها صوت خطيب وكان ذلك في شواهد قرآنية كثيرة يطول المقام في استعراضها حتى انه لهم في القران الكريم سورة كاملة ، سورة المنافقين ، وقد ورد في بعض كتب التفسير ، تحديداً (الكشّاف) للزمخشري أن سورة التوبة –مثلاً– لها أسماء عدة، منها: المُقشقِشة، أي انها تقشقش من النفاق أي: تبرئ منه، وتبعثر أسرار المنافقين، وتثيرها فتفضحهم وتتكلّ وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم[٦]، حتى انه ورد عن ابن عباس انها سميت بالفاضحة ؛ لأنها فضحت المنافقين.

وكان الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) قد التزم موقف الحكمة حيال ظاهرة المنافقين اذ لم يصرّح بأسمائهم وهو يعرفهم ولم يُعبّئ المسلمين الأوائل في محاربتهم ويقيناً كان ذلك حفظاً للمصلحة العامة ، لان المنافقين في الظاهر هم من المسلمين وسلخهم العلني عن لحمة الإسلام يجلب شكوكاً واتهامات للإسلام الشريف من قبل خصومه من المشركين واليهود ومن حالفهم والتحق بركبهم .

وقد وردت خطبة عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وصف المنافقين والتحذير منهم جاء فيها: "أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل النفاق فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلونون ألواناً، ويفتنون افتناناً، ويعمدونكم بكل عماد، ويرصدونكم بكل مرصاد، قلوبهم دوية، وصفاحهم نقية، يمشون الخفاء، ويدبون الضراء، وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء، ومقنطو الرجاء، لهم بكل طريق صريع، والى كل قلب شفيع، ولكل شجو دموع، يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء، ان سألوا الحفوا، وان عدلوا كشفوا، وان حكموا أسرفوا، قد أعدوا لكل حق باطلاً، ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً، ولكل باب مفتاحاً، ولكل ليل مصباحاً، يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم، يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هونوا الطريق، وأضلعوا المضيق، فهمُ لمّة الشيطان، وحمّة النيران، "أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون"[٧].

المبحث الأول

تصوير النفاق في بذوره الأولى

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)[٨].

نود ان نستعرض للقارئ بعض ما ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) بخصوص ظاهرة النفاق في بذوره الأولى أي ما كان في عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) والمسلمين الأوائل على أن تكون خطوات البحث مقتصرة على الجانب البلاغي الفني في آلية البحث وفيها تأكيد على دور القصدية ومطابقة الحديث لمقتضى الحال من خلال الكشف عن تعدد الأخبار المتشابهة معنى والمتغيرة لفظاً من جهه ، وعن كيفية اختياره (صلى الله عليه واله وسلم) للمفردة بالشكل الذي خرجت فيه وتوظيفها لغرض هذه المطابقة مع ضياء البيان الذي ترصّع جراء ذلك في حلة النظم النبوي الشريف.

وأول ما نبدأ به من هذه الأحاديث الشريفة، ما صّرح به (صلى الله عليه واله وسلم) بضرورة حب أهل بيته صلّى الله عليهم أجمعين وبالخصوص حبّ أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومدى خطورة بغضهم وعداءئهم، فقد حيث قال (صلى الله عليه واله وسلم): (لايحب علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن)[٩]، ففي النص الشريف من البلاغة ما تكثف معناه وقل مبناه كما نلاحظ، ومن جملة ما فيه، فن التقابل الثنائي في الحديث الشريف بشكل يعجز عن أدائه القلم والذي خرج بايجاز لا يرقى لسمائه صوت خطيب ولا لحروفه قلم أديب، فالتقابل الذي تمثل في قوله (منافق) و(مؤمن) وكذلك في (يحب) و(يبغضه) لم يكن عن زينة وصبغ وزيادة مثلما ذهب الى ذلك جملة من البلغاء والأدباء القدامى، إذ يكاد يتوحد رأيهم على أنّ المحسّنات البديعية انما جاءت كي تحسّن الكلام وتضفي عليه زينةً ورونقاً، فهي –برأي أكثرهم– شيء عرضيٌ، ليس من صميم الكلام، كالصبغ للجدار أو باقة الزهر للغرفة [١٠]، ونحن نؤمن بأن ما في الحديث الشريف وغيره من محسنات هي من صميم الابداع والأصالة ومتوافقة مع ما يتطلبه المقام، وليس مثل أفصح العرب يكون في بيانه زيادة أو فضلة، فالنص يصور للمتلقي من خلال هذا التركيب البديعي مركزية علي (عليه السلام) في دائرة الاسلام من بعده (صلى الله عليه واله وسلم)، فعلي مقياس يعرف منه المؤمن من المنافق.

ولا يفوتنا ما تضمنه الحديث من (ايجاز قصر) انطوت في طياته كل الكلمات والمعاني في شأن الامام عليه السلام، وكأن خطباً عظيمة اختزلت في هذا الايجاز الواضح المنيع.

وربما من القصدية والمناسبة للمقام ابتداؤه (صلى الله عليه واله وسلم) بذكر المنافق وتقديمه على ذكر المؤمن، فإن هذا ليس من عبث أو درج في القول إذ لعل في ذكر المنافق بدايةً فوائد منها: تبيان كون علي والمنافقين خطين لا يتقابلان ولا ينسجمان أبداً، وقد يكون ذلك من اهتمامه (صلى الله عليه واله وسلم) بعرض بغض المنافقين لعلي (عليه السلام).

ومن بلاغة النص الشريف جمالية فن الوصل الذي جمع بين معنيين مختلفين بين الجملتين، وذلك لأن بلاغة الوصل وجماليته تكمن في الجمع بين المعاني المختلفة فيما بين الجمل وذلك للربط فيما بينهما.

ولم ينته الكلام في هذا الابداع المحمدي العظيم، فهنالك حقيقة أخرى بينها عليه وآله السلام في أحاديث أخر هي من هذه الواحة نفسها المثمرة بالمحسّنات الجميلة، والتي منها: حب الأنصار وبغضهم، حيث قال (صلى الله عليه واله وسلم) فيهم: (لايحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم

فأحبه الله، ومن أبغضهم فأبغضه الله)[١١]، فهنا يعرض المتن الشريف فضيلة هذه الفئة من المسلمين من خلال أسلوب بلاغي اعتمد النفي والاستثناء مرتين في النص في تراكيب لغوية غاية في الإتقان وقد تقابلت بشكل منيع رصين، وكأن غايتها ابلاغ الدلالات القصدية من مكمنها[١٢].

وقد رأى أحد الباحثين أنّ (القصر) في النص النبوي يؤول إلى تخصيص صفة حب الأنصار بالمؤمنين الموصوفين بالمناقب التي رفعها الإسلام وأعلى من شأنها ومنها الإيمان المشتق من الأمن والذي هو واحة استقرار النفس ومحط سكون القلب[١٣].

ومع امعان النظر في الجملتين القصريتين، نجد أنّ دلالة النفي في جملة المقصور المتضمنة للصفة المعنوية –حب الأنصار وبغضهم– متضمنة معنى الاثبات، ذلك ان قوله (صلى الله عليه واله وسلم) (لا يحبهم) يشير في مضمونه إلى المنافق، وهذا بدوره يولد دلالة جديدة تضمها البنية العميقة للركن القصري الأول ومفادها قصده عليه وآله السلام أن يحب الأنصارَ المؤمنُ ثم تؤكد الدلالة القصرية المقصودة بالاثبات القطعي الذي توحي به أداة الاستثناء (إلا)، وباتساقها مع المقصور عليه المتضمن للموصوف –المؤمن–[14].

وأما الصفة المعنوية المناقضة التي تضمنها المقصور في الجملة الثانية، فالنفي التبعي الذي يسبقها يثبت معنى أراده النبي (صلى الله عليه واله وسلم) إذ يشير بقوله (لا يبغضهم) إلى المؤمن والموالي له في حب الأنصار، وهذا المعنى بدوره يقود إلى دلالة جديدة تضمها البنية العميقة للركن القصري الأول ومفادها ان المقصود النبوي هو أن يبغض الأنصارَ المنافق وتؤكد الدلالة القصرية المقصودة بالاثبات القطعي الذي ترمز اليه الأداة (إلا) ومن خلال تناسقها مع المقصور عليه المتضمن للموصوف –المنافق–، ومن أجل تعضيد الدلالتين القصريتين السابقتين جاء الموصوف بالاسلوب المنكر ليُؤمئ إلى عموم الموصوفين المؤمنين المحبين لإخوانهم الأنصار ويومئ كذلك الى عموم المنافقين الذين يبغضون أنصار رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)[15]، الأنصار الذين كانوا الحاضنة الكريمة للدعوة الاسلامية ومأوى بذرة الاسلام الأولى التي سقاها (صلى الله عليه واله وسلم) بدمه وعرقه وأي تضحية كتضحيتهم ومؤازرة كمؤازرتهم لإخوانهم فاستحقوا بذلك هذه المنزلة الرفيعة ان كانوا مقياساً آخر لكشف هذا القناع قناع المنافقين.

ويبدو ان التوكيد على حب الأنصار في الحديث الشريف قوي لدرجة معاضدة ما تقدم من النص بالإطناب الذي مثله قوله (صلى الله عليه واله وسلم): (من أحبهم فأحبه الله ومن أبغضهم فأبغضه

الله) والذي تضمن بدوره تقابلاً مثله قوله (أحبهم) و(أبغضهم) و(أحبه الله) و(أبغضه الله)، (فالتقابل أحد أهم المستويات التي تعامل المبدع في منظومته الفكرية في سبيل ايصال المعلومة ومن ثم تركيزها في ذهن المتلقي، وهذا نمط يحتاج معه المبدع إلى توظيف التقابل بانماطه ومستوياته المختلفة والمتشعبة)[16].

وإذا ما تنقلنا في أجواء قوله (صلى الله عليه واله وسلم): (آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار) [17]، لوجدنا انها تقابلت بأروع تقابل في قوله: (الايمان، النفاق) وقوله: (حب الأنصار، بغض الأنصار)، وقد تناغمت منسجمة كل الانسجام بموسيقية نحوية بلاغية رائعة، فالحديث كله عبارة عن سلسلة من أربع حلقات هي مضاف ومضاف اليه وهكذا، هذا في عين البحث.

وأما صاحب مصنف (فيض القدير شرح الجامع الصغير) فيرى في قوله (صلى الله عليه واله وسلم): (وآية النفاق) بالمعنى الخاص (بغض الأنصار) ان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) صرح به مع فهمه من خلال ما قبله وذلك لاقتضاء المقام التأكيد ولم يقابل الايمان بالكفر والذي هو ضده لأن الكلام فيمن ظاهره الايمان وباطنه الكفر فيميزه عن ذوي الايمان الحقيقي، إذ لم يقل (صلى الله عليه واله وسلم) آية الكفر لكون المنافق غير كافر ظاهراً [18].

وقد أيد ذلك الكرماني في شرحه لصحيح البخاري إذ لم يختلف عن التحليل السابق حيث ذكر ما مضمونه ان هنالك فائدة في تصريحه (صلى الله عليه واله وسلم) وتشهيره بالمنافقين من باب التأكيد وان المقام يقتضي ذلك لأن المراد من الحديث –بحسب رأيه – الحث على حب الأنصار وبيان فضلهم لما كان منهم من بذل وعطاء وإثرة بالغالي والنفيس[19].

ومع التمعن في رواية (آية المنافق بغض الأنصار وآية المؤمن حب الأنصار) [20]، نشعر بأن المراد هنا فيه من الاختلاف عن الحديث السابق ما اقتضاه المقام أيضاً، إذ يبدو ان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في تصديره للمنافق يريد الاهتمام بعرض صورته والتشهير به، لا ان المنافق مفضل على المؤمن أن تقدم عليه، هذا احتمال، والاحتمال الثاني: ان تكرار الحديث نفسه مع كل مناسبة قد يدعو المتلقي إلى الملل، فالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) يكرر ما تشابه من الأحاديث معنى لكن باختلاف لفظي وليس هذا إلا عن فطنة ودراية بما يتطلبه المقام.

ولتبيان ما يؤديه (مقتضى الحال) من أثر في البلاغة، على الباحث أن يستعرض رواية: (حب الأنصار آية الايمان وبغضهم آية النفاق) [21]، لكي نلاحظ اسلوب التقديم والتأخير الذي لم يكن

حشواً في تراث سيد الفصاحة والبلاغة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فهنا كان الاهتمام بقضية حب الانصار له من الأهمية ما تطلب أن يبتدئ النبي بذكره بكلا طرفي النص أي بحبهم وبغضهم، إذ ربما كان من بعض العقليات المتخلفة من أنكر على هذه الفئة المؤمنة كل هذا التركيز والاهتمام ما جعله (صلى الله عليه واله وسلم) يغير في نظم النص وقد تطلب المقام ذلك[22].

ومما ورد عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم): (في أمتي أثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم) [23]، وهذا شاهد آخر على تصدي النبي الحاسم للمنافقين الأوائل في بداية التاريخ الاسلامي والدعوة الاسلامية ولكن بصورة اقتضت فيها المصلحة الاّ تكون مباشرة مع هؤلاء، وبحكمة نبوية خرجت كلمات الحديث الشريف بهذا الشكل الذي نريد أن نتوسع فيه بلاغياً من عدة جوانب:

الجانب الأول: ابتداء الحديث بجملة خبرية هي (في أمتي اثنا عشر منافقاً) وربما كان الغرض من طرحها التنبيه والتحذير معاً).

الجانب الثاني: تضمن النص لفن الإطناب في الزيادة على هذه الجملة في قوله: " لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها ..." فهذا الإطناب انسجم في النص بشكل منيع رصين، لم يخرجه إلى الركاكة أو التعقيد أو الابتذال، وهذا ما لا يتمكن منه كل قائل، كما ان الإطناب في هذا الحديث الشريف انطوى على أكثر من فن بلاغي، مثل:

أولاً: روعة توظيف فن الاقتباس الذي انسجم بكل جمال وذوق في النص وذلك قوله (صلى الله عليه واله وسلم): "...حتى يلج الجمل في سم الخياط..."، من قول الله عز وجل: (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) [24].

واللافت للانتباه، ان الجملة المقتبسة أدت فن الاقتباس وفن الكناية في آن واحد، ذلك ان هذا التعبير لا شك هو كناية عن عدم دخولهم الجنة البتة.

ثانياً: احتوى هذا الاطناب على فن التشبيه التمثيلي، وحقيقة ليعجز الباحث القاصر عن أداء هذا النظم العجيب المتداخل عن اعطائه حقه في التحليل البلاغي، إلا أنّ جملة القول في ذلك: إننا لم نجد أداة التشبيه في النص وهذا من جمالية النص التي لم يشبها –أبداً– قبح، وأما المشبه فهم

(ثمانية) من هؤلاء المنافقين المزيفين والذين جاء تشبيههم بسراج ليس من نور بل من نار مناسبة لواقعهم، وقد أدى هذا التشبيه الصورة الآتية: ان هؤلاء المنافقين كان منهم منافقون أكثر وضوحاً من الباقين في هذه السمة، وكان هذا التميز يتطلب اختيار وتوظيف تركيب (سراج من نار) مما أدى إلى أن تكون معالم الصورة برمتها ذات بعدين:

البعد الأول: نفاق خفي من بعض هؤلاء الإثني عشر.

البعد الثاني: نفاق واضح كوضوح النار، وان ذلك تناسبٌ مع مصير المنافقين أي الدرك الاسفل من النار.

يقول احد المصنفين: (تشبيه التمثيل أبلغ من غيره، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان وتدقيق نظر، وهو أعظم أثراً في المعاني: يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحاً كان أوقع، أو ذماً كان أوجع)[25].

وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد تدفن الراكب فروى ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:"بعثت هذه الريح لموت منافق "[26]، فهنا نلاحظ مدى خطورة المنافق على المجتمع الاسلامي الى الحد الذي يصل الأمر في سوء عاقبة هذا المنافق ان يبعث الله ريحاً فتهلكه فيرتاح منه العباد والبلاد!...، ففي النص الشريف وردت لفظة (الريح) التي تناسبت مع العقوبة كل المناسبة، لأن الريح تطلق للعذاب بينما الرياح تكون للرحمة والخير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد دل سياق الحديث على غموض عنوان المنافق فكأن هذا التنكير وعدم التصريح به صورة احتقار الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) للمنافق على ما يبدو.

على الاّ ننسى كون الحديث شكّل جملة خبرية لعله يراد منها التنبيه.

وعن جابر بن عبد الله قال: –كنا في غزاة– قال سفيان: مرّ في جيش– فكسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمع بذلك رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فقال: "ما بال دعوى جاهلية" قالوا: يا رسول الله كسعَ [27] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: "دعوها فإنها منتنة فسمع بذلك (عبد الله بن أبيْ) فقال: أما والله لأن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعز منها الأذل، فبلغ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فقام عمر

فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: (دعه لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه)[28]، وقد لاحظنا الباحث ان في النص الشريف أكثر من فن بلاغي مثل:

أولاً: خروج الجملة الانشائية المتمثلة في قوله: (ما بال دعوى جاهلية) في استفهامها من الغرض الحقيقي إلى المجازي –كاحتمال– ولعل المراد: هذه دعوى جاهلية، وهي بذلك تكون انشائية اللفظ خبرية المعنى.

ثانياً: الصورة المجازية التي جسدتها الجملة الطلبية (دعوها فإنها منتنة) فمن خلال توظيف لفظة (منتنة) في النص يشعر الباحث بوجود استعارة في التعبير عن هذه الفتنة وكأنها جيفة قذرة تنتن من يتعاطاها ويلازمها، من جهة، ومن جهة أخرى، نجد في جملة (دعه لا يتحدث الناس...) بلاغة متنوعة من مثل:

أولاً: توظيف الفصل في قوله: (دعه، لا يتحدث...) ولعله من شبه كمال الاتصال بين الجملتين وكأن الثانية جواب عن سؤال في ذهن السامع.

ثانياً: احتواء النص على الاكتفاء أو ما تعارف عليه في البلاغة (بالحذف) والذي تقديره ("لأنَ" لا يتحدث...)، وما له من دور بلاغي في تأدية المعنى بعمق، إذ ان للجملة العربية (المكتفية) أو (المقتصرة) دلالتها الخاصة والتي تنتظم من المعاني الايحائية والظلالية ما لا يمكن ادراكه وتذوقه كما ينبغي من هذه الجملة فيما لو زيد عليها لفظ أو أكثر بحجة الحذف فيها[29].

وأما في استنطاقه (صلى الله عليه واله وسلم) لما سيقوله الناس في جملة (ان محمداً يقتل أصحابه) فإن في توظيفها مطابقة وتأثيراً في زجر المسلمين عن هذه الفتنة أكثر مما لو انّه (صلى الله عليه واله وسلم) قال: لا يتحدث الناس عنا بالسوء –مثلاً–.

وكذلك في احتواء الجملة على التوكيد بالحرف (ان محمداً...) إحالة إلى صورة الاستغراب، استغراب الأعداء وأهل الجاهلية من أمر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لو أنّه أمر بقتل المنافق وعليه فإن كل لفظة في هذا النص أدت الى مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وإجمالاً، يرى الباحث ان تراكيب النص الشريف الأخير قد شكلت مزجاً في منتهى الروعة من حيث الصياغة وتداخل الفنون البلاغية وكأنها سلسلة بعضها وثيق الاتصال بالبعض الآخر حتى صارت هذه الحلقات جميعاً كأنها حلقة واحدة!...

المبحث الثاني

تصوير مرض النفاق في الأخلاق والآداب

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: (وإنك لعلى خلق عظيم)[30]، لا شك ان الأخلاق الكريمة الحميدة هي الدعامة القوية التي يجب أن يتركز عليها مشروع الاسلام الشريف، وفي هذا الصدد قال نبينا الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم): (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[31]، وهنا يريد الباحث أن يتناول جملة من النصوص النبوية الشريفة التي كان لها الشهرة والملازمة الذهنية –ان صح التعبير– مع ظاهرة النفاق والمنافقين بشكل أكبر وأوسع من غيرها، والتي من خلال كلماتها نرى روعة التصوير الفني البلاغي النبوي في وصف هذا المرض.

فقد ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم): (آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)[32].

وهنا قبل الشروع في تحليل النص بلاغيا، يفضل أن نستعرض بعض ما ذكره شرّاح الحديث، إذ يقول الكرماني في شرحه لصحيح البخاري: (وإنما خصص الثلاثة بالذكر؛ لأنّها مشتملة على المخالفة التي عليها مبنى النفاق من مخالفة السر العلن)[33]، وقال الطيبي في المصدر نفسه: (الإتيان بالجملة الشرطية مقارنة بـ إذا الدالة على تحقق الوقوع يدل على أنّ هذه عادتهم، ...)[34].

وفي مصنف (الأدب النبوي) جاء ما نصه: (... وليس الغرض من ذكر هذه الصفات حصر آيات النفاق فيها فإنها كثيرة كالفجور في المخاصمة، وإنما الغرض التنبيه إلى اصلها إذ التدين ينحصر أصله في ثلاثة: القول والعمل والنية، فنبه إلى فساد القول بالكذب، والى فساد الفعل بالخيانة والى فساد النية بالإخلاف؛ لأن الإخلاف القادح ما كان العزم عليه مقارناً للوعد)[35].

وبعد هذا كله نود أن نستعرض الأمور التالية:

أولاً: نلاحظ في النص تقابلاً ثنائياً بوصفه نوعاً من أنواع المحسنات البديعية وذلك في قوله: (وعَدَ) و(اخلف)، فمع انسجام ذلك في حُلة النص الشريف ازدادت الفصاحة عظمة من غير أن يكون ذلك زيادة أو فضلة كما نظر جملة من البلغاء القدامى لهذا الفن من البلاغة.

ثانياً: وفي النص اكتفاء (حذف) في قوله (ثلاث) وربما يقدر بـ: آية المنافق ثلاث (خصال)، وكذلك في قوله (أخلف) وتقديره: وإذا وعد أخلف (الوعد). وفي قوله: (خان) وتقديره: وإذا أؤتمن خان (الأمانة) إذ توظف هذا الاكتفاء في اعطاء المعنى بشكل رصين متماسك لا يشوبه الخلل أو الحشو مما يجعل المتلقي في استقباله هذه الكلمات ما يلبث أن ينقشها في ذهنه متعجباً ومنبهراً من معناها

ومبناها معاً، من جهة، ومن جهة أخرى فإننا مع هذا الاكتفاء سرعان ما نتذكر صفة جوامع الكلم التي تميز بها الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)[36]. وقد حلل الدكتور محمد البيومي حديث آية المنافق بصورة فنية كانت غاية في الروعة فهو يرى انّ تقدم العدد في الحديث الشريف فيه دلالة تأثيرية فنية هي المقصودة من الاسلوب الأدبي في عالم البيان؛ لأن السامع حين يتلقى لأول وهلة قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): (آية المنافق ثلاث...) لا ينصرف ذهنه إلى أنّ للمنافق أكثر من عشرين صفة يمكن إحصاؤها بسهولة، ولكنه يتتبع الأمور الثلاثة المنصوص عليها في يقظة وحرص محاذراً أن يكون على شيء منها، وكأنّ هذه الثلاث تسد عليه الأفق فإذا وجد منها انفلاتاً، فقد استراح، وإذا وقف أمام بعض أبوابها فإنّهُ ليجتهد أن يدفعه عن وجهه، وهذا هو التأثير الجاذب لسطوة العدد حين يلقى في مفتتح الحديث، فهو لا محالة نوع من التحديد الفني [37]، وعلى الرغم من أن الكاتب ابتعد نوعاً ما عن مصطلحات البلاغة إلا انّ ما بيّنه مرتبط بلاغياً بالقصدية والمطابقة لمقتضى الحال، فالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) يريد شد انتباه المتلقي نحو علامات النفاق بالشكل المناسب، كما أنّ النفس عندما يطالعها هذا الجمال والسحر وتتأمل ، وتشعر بأنه قد جمع لها معانٍ متعددة حصرت في كلمات قليلة، تستطيع أن تستوعبها بيسر وسهولة، وذلك لوضوح الرؤية وحسن دلالة الألفاظ[38]. وفي رواية أخرى من صحيح مسلم (آية المنافق ثلاث وان صام وصلى وزعم انه مسلم)[39]، فإن كان هذا النص قد صدر من النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) فقط بهذه الكلمات لا زيادة فهنا يحتمل الباحث صدوره متأخراً عن النص المتقدم وهذا بدوره يحيل –بلاغياً– إلى فن الايجاز والذي تضمن المجاز في قوله: وإن صام وصلى من باب ذكر البعض ويراد الكل فهو منافق وإنْ زكّى وانْ حجّ وانْ تصدّق ولكن البلاغة النبوية اختزلت كل ذلك بكلمتين، وتضمن كذلك التوكيد في قوله (وزعم انه مسلم) فإن البحث يحتمل التوكيد في هذه الجملة الخبرية فالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) يريد أن يرسخ في الأذهان بيان هذه الخصال الثلاث من خلال الجملة الأخيرة.

وجاء في صحيح البخاري أنّ الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قال: (أربع من كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا أؤتمن خان وإذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر)[40]. فقد شرح مصنف (الأدب النبوي) هذا المعنى حيث قال: (بيّن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) انّ من وجدت فيه أربع خصال كان منافقاً خالصاً ، ومن وجد فيه بعضها كان لديه من النفاق بقدر ما وجد فيه، وتلك الخصال هي خيانة الأمانة، والكذب

في الحديث، والغدر في المعاهدة، والفجور في المخاصمة،...)[41]. ثم يسترسل فيقول: (أما الكذب في الحديث فإنهّ أسّ النفاق والقاضي على الأخلاق، وهو داع لاحتقار صاحبه، وعدم الثقة به في شأن من الشؤون، وصاحبه لبّاس على الناس غاش لهم، والكذاب في الحقيقة ميت بين الأحياء)[42].

وأما التحليل البلاغي لهذا النص الشريف فهو كما يلي:

أولاً: يلاحظ في النص التركيز والاهتمام في طرح هذه الخصال الأربع التي تميز المنافق وكانت آلية هذا التركيز من خلال اسلوب التقديم والتأخير، حيث قدّم (C) قول أربع على (من كن فيه) ولابد من احتواء ذلك على فوائد لعل منها تشويق السامع لسماع الخبر.

ثانيا: ومن ملامح التوكيد في النص اسلوب التقديم والتأخير في خبر كان مرتين في السياق، في قوله : (ومن كان "فيه" خلة منهن، كانت "فيه" خلة من النفاق).

ثالثاً: ويؤازر ذلك تضمن النص لفن السجع في قوله (غدر) وقوله (فجر).

رابعاً: ومن بلاغة النص وروعته توظيف الاكتفاء في النص في قوله (أربعُ) والتقدير: (أربع خصال).

ومما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) في خصوص النفاق استعاذته ودعاؤه (صلى الله عليه واله وسلم) في رواية: (اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)[43]، وفي هذا النص الشريف من البلاغة ما يلي:

أولاً: احتمالية تضمن دعاءه (صلى الله عليه واله وسلم) واستعاذته من هذه الأمراض (التعريض) بالمنافقين وكذلك (التنبيه) الى خطورة آفة النفاق والشقاق وسوء الخلق ومع صحة غرض التنبيه تكون الجملة انشائية اللفظ خبرية المعنى.

ثانياً: يلاحظ في الحديث الشريف انسيابية موسيقية هي من صميم الفصاحة من خلال النسق الذي أداه فن السجع المطرد في النص، والذي جانب التكلف والصنعة، فالسجع إذا ما كان من غير تكلف فإنهّ يأتي غاية في الحسن والفصاحة[44].

ثالثاً: يلاحظ التركيز والاهتمام في تجنب هذه الآفات الفاسدة من خلال قصدية توظيف أداة النداء (اللهم) وارادفها بالتوكيد بالحرف المشبه بالفعل (إني)، فالمتلقي عندما يسمعه (صلى الله عليه واله وسلم) يختار هذه الألفاظ لا شك يقشعر ويتوقف ويتأمل في خطورة آفة النفاق وسوء الأخلاق والشقاق.

رابعاً: انسجامية النص من خلال وصله بالواو في (الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق) حيث تطلب التناسب بين الكلمات والتوافق هذا الوصل.

خامساً: القصد في ايراد الفعل أعوذ مضارعاً بدلاً من عذتُ بك، إشعاراً بضرورة استعاذة المسلمين دوماً ومجدداً من هذه الصفات الخبيثة.

أنّ نسق البلاغة النبوية ينماز في جملته بأنهّ ليس من شيء أنت واجده في كلام الفصحاء – وهو معدود من ضروب الفصاحة ومتعلقاتها– إلا وجدته في هذا النسق على مقدار من الاعتبار يفرده بالميزة، ويخصه بالفضيلة، لأنّ كلامه (صلى الله عليه واله وسلم) في باب التمكين لا يعدله شيء من كلام الفصحاء، فلا تلمح في أي جهة من جهاته ثلمةً يقتحم عليه الرأي منها وتنساب فيها الكلمات التي هي من لغة النقد والتزييف أو بعض هذه الكلمات، أو أضعف ما يكون من بعضها، إذ هو مبني على ثلاثة: الخلوص، والقصد والاستيفاء[45].

وقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): (يميز اللهَ أولياءَه وأصفياءَه حتى تطهر الأرض من المنافقين والضالين وأبناء الضالين، ....)[46]، والمتأمل للحديث الشريف قد يلاحظ فيه ما يلي:

أولاً: روعة توظيف الفعل المضارع (يميز) فيما ينسجم مع غرض (المطابقة) أحد ركني فن البلاغة كل الانسجام حيث انّ الصورة تفضي إلى حقيقة استمرار وتجدد تمحيص المولى عز وجل في العباد، إذاً فعملية التمييز والتطهير مستمرة ومستمرة حتى تنقى الأرض من شوائب النفاق والضلالة.

ثانياً: وهنا أيضاً، جمالية بديعية من خلال السجع غير المتكلف وقد انسجم فيه فنّ الوصل فكان النص قطعة واحدة من قطع عدة، قال صاحب الطراز في فن السجع: (أعلم انّ المقصود بالتسجيع في الكلام انما هو اعتدال مقاطعه وجريه على اسلوب متفق؛ لأنّ الاعتدال مقصد من مقاصد العقلاء يميل اليه الطبع وتتشوق اليه النفس،...)[47].

المبحث الثالث

علاقة النفاق بالكذب وما يتصل به

نود في هذا الجزء أنّ نتعرض لبعض من الأحاديث الشريفة التي ربطت في تراكيبها بين أهل النفاق والأعور الدجال الذي استفاضت بذكره وتصويره النصوص الشريفة في كتب الحديث النبوي الشريف، ويبدو أنّ الصلة بين الصنفين لها من الوثاقة والارتباط ما يسمح بالتقديم التالي:

لقد وردت كلمة (الدجل) في اللغة بالشكل الذي يؤكد ما يريده البحث ويؤيده ، فالدّجْل – بتسكين الجيم–: تمويه الشيء، وسمي الكذاب دجالاً منه، ... فالدجال المموّه[48].

وأما (النفاق) لغةً، فقد تقدم توضيح معناه بشكل مفصل في بداية البحث، إذ لم يكن ببعيد عما تقدم ذكره للمعنى اللغوي للدجال.

فالمنافق (يتستر باسم الدين ويتلبس بزي الروحانيين والقديسين، ويتحدث عن العدل والانصاف والحرية و(الديمقراطية) كل هذا وغيره حبر على ورق وقشر بلا لب، وكلمات جوفاء مفرغة يراد بها خداع الآخرين وتحقيق المصالح والمنافع الخاصة الشخصية الدنيوية، وبهذا النفاق يستحق صاحبه النقمة واللعنة والضلالة بمبايعة ومتابعة الدجال الاعور المنافق الأكبر)[49].

ففي هذا الخصوص ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين تحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق)[50]، فقد تناول القدامى بعض هذا المعنى بالشكل التالي: قوله (صلى الله عليه واله وسلم) (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال) هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور إلا ابن حزم شذ في رأيه فقال: المراد الا يدخله بعثه وجنوده، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته وغفل عما ثبت في صحيح مسلم انّ بعض أيامه يكون قدر السنة[51].

وأما في قوله (صلى الله عليه واله وسلم): (ثم ترجف المدينة) أي: يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال[52].

وقد لاحظنا في مستهل الحديث الشريف دلالة توكيدية تجسدت من خلال اسلوب القصر بالنفي وإلا، وذلك قوله (صلى الله عليه واله وسلم): (ليس من بلد إلا ...)، وقد تآزر في أداء ذلك توظيف حرف التوكيد (من) في قوله (صلى الله عليه واله وسلم) (من بلد)، ثم يأتي في مصاف ذلك حرف الاستقبال القريب في (سيطؤه...)، ما جعل اللوحة البلاغة من كل هذه التراكيب صارخة بتركيز المعنى وشدة خطورة الأمر وسرعة حلوله.

وأما البلاغة المستوحاة من قوله: (ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافّين يحرسونها...) فنلاحظ مجددا عودة اسلوب القصر بالنفي والاستثناء وبشكل لم يحدث معه أي سآمة أو خلل على اعتبار تكرر الاسلوب مرتين في النص، وهنا يلمس الباحث صورة بلاغية غاية في الروعة، هي: ان هذا العملاق المتسلط كان له من السطوة والهيمنة ما أدى إلى أن لا يسلم منه شبر من الأرض، وقد جسد ذلك اسلوب القصر التوكيدي والمتضمن حرف التوكيد (مِن)، إلا انه بالرغم من

هذه القوة والسيطرة كان بينه وبين البقعتين المباركتين المقدستين مكة والمدينة ردماً منيعاً، لا يقدر أبداً النفاذ منه اليهما، ذلك ان مكة والمدينة لهما من القداسة والشرف ما يمنع أي شر من اختراقهما، وكان ذلك متجسداً من خلال التوكيد الثاني، فالصورة في مخيلة الباحث إجمالاً هي كما يلي: صورة القوة والسيطرة لذلك الشيطان الأكبر والذي جسد تلك الصورة التوكيد الاول في النص ، وصورة الضعف والعجز لذلك الدجال المنافق الاعور والتي مثلها التوكيد الثاني.

والجميل بالأمر أنّ هذه القوة التي رأيناها بالصورة الأولى سرعان ما نقضتها وأزالتها عن ساحة السيطرة والهيبة الصورة الثانية!... قوة وعجز في سياق واحد، فيا لعظيم بيانك وسداد لسانك يا رسول الله.

وكذلك فإن النص تضمن فن الكناية في قوله: (ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات...) فيما يبدو، ذلك انه قد يكون لهذه الرجفة معنى آخر كالغربلة والتمحيص يقعان في المدينة ومكة من أجل اخراج ما فيهما من منافقين وضالين مضلين كي يلتحقوا بالأعور الدجال، ولعل رواية: (المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها)[53] هي قرينة ودليل على احتمالية الكناية هذه .

وأما في صحيح مسلم فالخبر كما يلي: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق)[54]، إذ يبدو انّ المقام هنا تطلّب تغيير بعض الألفاظ في النص ولعل وراء ذلك دفع الملل، والانتباه لسماع الخبر وقد تطلب الأمر تكراره.

ثم نلاحظ بلاغة وجمالاً آخر في رواية: "يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج اليه كل كافر ومنافق"[55]، ففي هذا النص بداية تأخذ بأذهان المتلقين وقلوبهم نظراً لاختياره (صلى الله عليه واله وسلم) الفعل المضارع (يجيء) ومؤازرته بـ(حتى ينزل في ناحية المدينة) فالصورة المستوحاة في ذلك تحيل المتلقي لاستمرارية زحف الشر ومعسكره فيقترب من مدينة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكأنه يكاد يدخلها إلا ان المعادل والموازن لذلك من ردة فعل هو التحاق المفسدين بما فيهم المنافقين إلتحاقهم به وبركبه من خلال اختتام النص بفعل مضارع أيضاً هو (يخرج) في قوله: (فيخرج اليه كل كافر ومنافق)؛ لأن الكلام في فنون البلاغة وركنيها (المطابقة والفصاحة)، فإنا نلاحظ عدم سماح الصورة والمعنى لقبول أي تشوه أو فطور، ذلك أن الفعل تكرر أكثر من مرة، فمن أدلة ذلك ان النص الأول لم ترد فيه شبه الجملة من الجار والمجرور (إليه)، حيث

انّهُ قال: (... فيخرج الله كل كافر ومنافق) بدون (إليه)، ولم يكن ذلك –كما أسلف البحث– عن قصور؛ لان المعنى في الحديث الأول تشبع بملامح التوكيد وكأن الصورة أصبحت غير قابلة للزيادة في المبني أو لنقل بالتنوعات التوكيدية لئلا يطالها التشويه والفطور، حيث ان السامع لا يحتاج إلى قرينة تدل مع ما تقدم إلى مصير خروج المنافق، هذا في النص الأول، وأما الثاني: فقد لاحظ البحث ان معالم التوكيد كانت بشكل أقل كثافة من معالم الصورة الأولى ما دعا لإيراد اسلوب التقديم والتأخير في هذه اللوحة أعني قوله: (فيخرج "إليه" كل كافر...) وكأن في إيراده (صلى الله عليه واله وسلم) لهذا التقديم والتأخير معادلاً لدلالة التوكيد في الحديث الأول ولكن المقام اقتضى أن يخرج النص الأول مثلما خرج وأن يخرج الثاني مثلما خرج أيضاً.

ومع رواية (... فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه... فيخرج اليه كل منافق ومنافقة) [56]، نلاحظ أكثر من جانب:

الجانب الأول : قصدية ورود الفاء التي تلازمت مع الأفعال المضارعة (يأتي، يضرب، يخرج)، ثلاث مرات وكأن لهذه الملازمة بعداً توكيدياً باسلوب مغاير للاسلوبين السابقين، من جهة، ومن جهة أخرى، نلاحظ مجدداً عدم قبول الحديث عندما تكررت فيه الفاء للركاكة والضعف.

الجانب الثاني : نلاحظ في تكرار الفاء المتلازمة مع الأفعال المضارعة الثلاثة ومع تآزر التقديم والتأخير معها ثانية، نلاحظ صورة مؤكدة مليئة بالحركية والتجدد وبصورة مكثفة، وكأن هذا الدجال لا ينفك يريد المدينة المنورة.

الجانب الثالث: خروج المنافق إلى أحضان هذا الغول وبشكل تأكد بإيراد جنسي أهل النفاق أي كل منافق ومنافقة مع ان الأحاديث السابقة لا يعقل أنها قصدت المنافق الرجل فقط، إلا انّ دور القصدية التي مثلها التوكيد كان متطلباً لشكل توكيدي آخر من خلال ذلك التفصيل من جهة، ولعل المراد في هذا النص هو التركيز على المنافق خاصة من جهة أخرى، ذلك ان الحديثين السابقين شملا المنافق والكافر.

الجانب الرابع: يلمس البحث الكناية في قوله (صلى الله عليه واله وسلم): (فيضرب رواقه) إذ هو كناية عن تأسيس قواعده وتركيز كيانه الفاسد، يقول مصنف (الديباج على مسلم): (فيضرب رواقه: أي: ينزل هناك ويضع ثقله)[57].

الجانب الخامس: وهنا يود الباحث التركيز حول جمالية التقديم والتأخير في النص الأخير، في قوله: (فيخرج "إليه" كل ...) فلعل الدلالة العميقة في توظيف هذا الاسلوب هي شدة تعلق

المنافقين بصنوهم الأكبر فلو انّ الحديث كان كما يلي: فيخرج كل منافق ومنافقة اليه، لما كان بالتأثير والبلاغة نفسها ، إذ يقوم التقديم والتأخير بدور رئيس في تأسيس جمالية لغوية من خلال التنويعات التي يحدثها عبر التموجات اللغوية التي تعطي طواعية في التعبير، وتوصل إلى المتلقي المعنى والمراد، كما انّ هذا الاسلوب العظيم يعد شكلاً من أشكال الانزياح المسمى بالانزياح التركيبي أو الانزياح الموضعي[58].

وفي المحصلة الأخيرة يود الباحث من خلال كل ما تقدم بخصوص المنافق والدجال أن يبين الخلاصة التالية:

في الحديث الأول كان للتوكيد الدال على خطورة الدجال اسلوب معين من الكلمات ألا وهو اعتماد التوكيد بالقصر مرتين مترصعاً بالتوكيد بالحرف (من).

وفي الحديث الثالث (يجيء الدجال...) خرج التوكيد بشكل آخر من خلال التقديم والتأخير في قوله (فيخرج اليه كل كافر ومنافق).

وفي الحديث الأخير لاحظ الباحث كيف ورد التوكيد بأسلوب مغاير للأسلوبين السابقين إذ نجد أنفسنا أمام تنوع من الأساليب البلاغية التوكيدية لنفس المعنى ولم يكن ذلك إلا مطابقة لمقتضى الحال مرصعاً ومعاضداً بالفصاحة.

الخاتمه

وبعد كل ما استُعرِض في البحث نود ذكر النقاط التالية:

الأولى: لاحظنا كيف تكثّفت المعاني وتركزت في النص النبوي الشريف الذي كان شاهداً على علو بلاغة الحبيب المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم)، وعظمته ومثال ذلك: حديث ((آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان)) فقد جمع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في هذه الكلمات القليلة كل المعاني المتعلقة بهذه الخصال والتي على المؤمن تجنبها.

الثانية: تركزت صياغات التوكيد بأساليبها كافة في الحديث النبوي الشريف –موضوع البحث– ما أدى إلى الانتباه لمدى خطورة هذا القناع المزيف الشائن.

الثالثة: تجسد كل من (المطابقة لمقتضى الحال) و(الفصاحة) بأبهى الصياغات واجلّها واجملها في الأحاديث النبوية الشريفة التي خصها البحث بالدراسة.

الرابعة: لاحظ الباحث عدم كشف النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) عن عناوين أهل النفاق في بداية الدعوة الاسلامية الشريفة ويقيناً كان وراء ذلك مصلحة وحكمة ودراسة في عواقب الأمور.

الخامسة: أدى الحديث النبوي الشريف ملامح الصورة –صورة االمنافقين– من خلال كل الأساليب البلاغية التي احتواها النص، وحقيقة كان الحديث النبوي الشريف شاهداً ومؤيداً ومؤكداً على ايتاء نبينا الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) جوامع الكلم.

الهوامـــــش

(١)– سورة الانعام، الآية: 35.

(٢)– لسان العرب: ابن منظور (ت 711 ه) مادة (نفق) : 10 /358 .

(٣)– م، ن: ج10/ 358.

(٤)– مجمل اللغة: أحمد ابن فارس، ص656.

(٥)– ينظر: شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني (ت 1081 ه)، ج5/ 302.

(٦)– ينظر: الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري (ت 528 ه) ، ج2، ص181 .

(٧)– نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، (ت 40 ه)، تحقيق: الشيخ محمد عبده، ج2، ص166–167 .

(٨)– يسورة المنافقين، الآية 41.

(٩)– سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي، ج5، ص299، الحديث رقم (3801).

(١٠)– ينظر: المحسنات البديعية بين الصبغ والوظيفية: بحث للدكتور قصي سالم علوان، (ص42، 43) .

(١١)– سنن الترمذي: الحديث رقم: (3990)، ج5، 371.

(١٢)– ينظر: أساليب القصر في صحيح مسلم ودلالاتها البلاغية. نعم هاشم الجماس ، ص43.

(١٣)– ينظر: م، ن، ص43.

(14)–ينظر: م، ن، ص43.

(15)ينظر : م ، ن ص 44 .

(16)– الأشكال البديعية في خطاب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في كتاب (الأصول من الكافي) للكليني، اطروحة دكتوراه : حيدر برزان سكران ، ص46.

(17) صحيح البخاري: لمحمد بن اسماعيل البخاري (ت 256 هـ)، ج1، ص10 .

(18)– ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، ج1، ص82، 83 .

(19)– ينظر: صحيح البخاري بشرح الكرماني: لشمس الدين الكرماني، ج1/ 158.

(20)– صحيح مسلم ، ج1، ص60 .

(21)– م، ن، ص60.

(22)– وايضاً في سنن النسائي ورد (حب الأنصار آية الايمان وبغض الأنصار آية النفاق) ج 8، ص116و في صحيح البخاري: (الانصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق) في ج4، ص223.

(23)– صحيح مسلم: ج8، 123.

(24)– سورة الاعراف، الآية: 40.

(25)– جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي ، ص230.

(26)– صحيح مسلم: ج8/ 124.

(27)– كسعَ: أي ضرب دبره بيده، جاء هذا المعنى في (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير، ج4 /173 .

(28)– صحيح البخاري: ج6/ 65 وفي ج4 من صحيح البخاري ص160 ورد الخبر باختلاف قليل (... ما بال دعوى أهل الجاهلية ... دعوها فإنها خبيثة...)، وأما في صحيح مسلم، في ج8، ص19 (...ما بال دعوى الجاهلية...).

(29)– ينظر: دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية (دراسة نقدية للقول بالحذف والتقدير) تأليف أ. م. د. علي عبد الفتاح محي، ص84.

(30)– سورة القلم، الآية 4.

(31)– تحفة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي: للمبار كفوري ، ج5، ص470 .

(32)– سنن الترمذي: الحديث رقم (2766)/ ج4/ 130.

(33)–صحيح البخاري بشرح الكرماني: ج1/ 205.

(34)– م، ن، ص205.

(35)– الأدب النبوي: محمد عبد العزيز الخولي: ص16، 17.

(36)– وأما في صحيح البخاري ج 3، ص162: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وإذا وعد أخلف)، والخبر نفسه في ص189 من المجلد نفسه.

(37)– ينظر: البلاغة النبوية: د. محمد رجب البيومي ، ص233–234.

(38)– ينظر: البلاغة النبوية، محمد رجب البيومي، ص152.

(39)– صحيح مسلم: ج1/ 56.

(40)– صحيح البخاري: ج1/ 14. وفي رواية أخرى: ((أربع من كن فيه فهو منافق خالص، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها))، والنص هذا ورد في سنن ابي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني، ج 2/ 409، دار الفكر، بيروت، و سنن الترمذي، ج 4، ص130 فقد اختلف الحديث بالشكل التالي: (أربع من كن فيه كان منافقاً وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب...).

(41)– الأدب النبوي، ص14.

(42)– م. ن، ص15.

(43)– سنن النسائي: ج8/ 264.

(44)– ينظر: الطراز ليحيى بن حمزة العلوي، ج3، ص22 .

(45)– ينظر: اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: لمصطفى صادق الرافعي، ص229 .

(46)– أمالي الشيخ المفيد: للشيخ المفيد (قدس سره) : ص144.

(47)– الطراز: للعلوي، 21/3.

(48)– ينظر مجمل اللغة: لابن فارس: ص227 .

(49)– الدجال (بحث عقائدي) لسماحة آية الله العظمى السيد الحسني الصرخي ، ص84 .

(50)– صحيح البخاري: ج2/ 223.

(51)–ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: لإبن حجر العسقلاني ، ج4، ص82 .

(52)– م. ن، ص82.

(53)– صحيح البخاري: ج2/ 223.

(54)– صحيح مسلم: ج8/ 206.

(55)– صحيح البخاري: ج8/ 102.

(56)– صحيح مسلم: ج8/ 207.

(57)– الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : عبد الرحمن السيوطي ، ج6، ص263 .

(58)– ينظر: التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب، اطروحة زينة عبد الحسين الخفاجي، ص62.

المصادر والمراجع

مصدر البلاغة الأول: القرآن الكريم

١. الأدب النبوي: محمد عبد العزيز الخولي، دار الفكر، (د. ت).
٢. اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2005م.
٣. أمالي الشيخ المفيد: الشيخ المفيد ، تحقيق: حسين الاستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، ط2، دار المفيد، بيروت، لبنان، 1414هـ / 1993م.
٤. البلاغة النبوية: د. محمد رجب البيومي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1429هـ/ 2008.
٥. تحفة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي: للمبار كفوري (ت 1353 هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ.
٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع: السيد أحمد الهاشمي، الطبعة الأولى، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ايران، 1379.

٧. الدجال، بحث عقائدي: سماحة آية الله العظمى السيد الحسني الصرخي ، الطبعة الثالثة، 1426هـ/ 2005.

٨. دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية (دراسة نقدية للقول بالحذف والتقدير) : أ.م.د:علي عبدالفتاح محي ، ط:1 ، ديوان الوقف الشيعي ، المركز الوطني لعلوم القرآن ، بغداد ، 1431هـ ، 2010 م .

٩. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: أبو اسحاق الجويني الأثري، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، السعودية، 1416هـ.

١٠. سنن ابي داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت 75هـ) ، تح : سعيد محمد اللحام ، ط1 ، دار الفكر بيروت ، لبنان ، 1410 هـ / 1990 م .

١١. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، (ت 279 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت، لبنان، 1403هـ.

١٢. سنن النسائي: أحمد بن شعيب، (ت 303 هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1348هـ / 1930م.

١٣. شرح اصول الكافي : محمد صالح المازندراني (ت 1081 هـ) ، (د.ت) .

١٤. صحيح البخاري بشرح الكرماني: شمس الدين الكرماني، خرّج أحاديثه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1430هـ / 2009م.

١٥. صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري (ت 256 هـ)، طبعت بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول، دار الفكر، بيروت، (1401هـ).

١٦. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261 هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د. ت).

١٧. الطراز: يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، 1332هـ/ 1914م.

١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ت).

١٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبد الرؤوف المناوي، (ت 1331 هـ)، تحقيق: أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ.

٢٠. لسان العرب: ابن منظور (ت 711 هـ)، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، نشر: أدب الحوزة، 1405هـ.

٢١. مجمل اللغة: أحمد بن فارس، راجعه ودقق أصوله: محمد طعمة، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1426هـ/ 2005م.

٢٢. النهاية في غريب الحديث: أبن أثير، (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود أحمد الطناحي، الطبعة الرابعة، مؤسسة اسماعيليان، قم – ايران، 1364 ش.

٢٣. نهج البلاغة : خطب الامام علي عليه السلام (ت 40 هـ) ، تح : محمد عبده ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

الرسائل والبحوث الجامعية

١. أساليب القصر في صحيح مسلم ودلالاتها البلاغية: نعم هاشم الجماس، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، 1428هـ/ 2007م.

٢. الأشكال البديعية في خطاب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في كتاب (الأصول من الكافي) للكليني: حيدر برزان سكران، اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، 1432هـ/ 2011م.

٣. التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب: زينة عبد الحسين الخفاجي، اطروحة دكتوراه، جامعة بابل، كلية التربية، 1430هـ/ 2009م.

الدوريات

❖ المحسنات البديعية (محاولة لدراسة بعضها بين الصبغ والوظيفة): د. قصي سالم علوان، مجلة عالم الفكر العربي، بيروت،العدد 46،1987م.

The present research is a thematic and rhetorical study of a group of hadiths in which the topic of hypocracy and hypocrite is explicitly mentioned . The research is extracted from an M.A thesis . The research falls into three sections . The first deals with the depiction of hypocracy as it first emerged . The second section is about this social defict as related to morals and ethics . The last section presents an account of the relationship between hypocracy and lie and related thing .

It is worth – mentioning that the rhetorical analyses correct out in the research give probable rather than certain findings in the light at the researcher's ability .